هل للشعر المرسل مكان في العربيـــة

للأستاذ محمد فريد أبو حديد
وكيل المدرسة التوفيقية الثانوية

يسر الرسالة أن تقدم الى قرائها صديقاً من خيرة أصدقائها وهو الاستاذ محمد فريد أبو حديد صاحب «ابنة المملوك»، التي تحدث عنها بالخير الاستاذ جب في العدد الماضي، ومؤلف «صلاح الدين»، وكاتب «المرحوم محمد»، ومترجم «فتح العرب لمصر» لبتلر. والاستاذ فريد من أصفى أدبائنا شعوراً وأخصبهم قريحة وأوزنهم انتاجاً، وهو جندي باسل من جنود الادب العربي، أغرم بالقراءة والبحث والكتابة واسرف حتى خامره من ذلك داء مؤلم موئس عقله عن اخوانه وتلاميذه وقلمه بضعة شهور، فنحن بتقديمه اليوم انما نقدم التهنئة الخالصة لاصدقائه بسلامته، والبشرى الطيبة لعشاق أدبه بقراءته.

(التحرير)

قرأت مقالين قيمين في الرسالة بعنوان «مجمع البحور» تعرض فيهما كاتباهما المفضلان إلى الشعر المرسل ومكانه في اللغة العربية. وليس بالعجيب أن ينفر بعض الكتاب من أسلوب لم يألفه كما أنه ليس بالعجيب أن ينكر الاديب بدعة في الادب العربي اذا ظن أن تلك البدعة قد تدخل اليه ما لا يزينه أو ما قد يتخذ سبيلا إلى التزييف والابتذال. ولكنا مع ذلك لا نجد بدا من التسليم مع المنطق السليم بأنه اذا كان يراد أدخال بعض أنواع من التأليف في اللغة العربية فلا بد من وسيلة لفك قيود القافية. فالقافية مثل متين يمنع الاسترسال في القول واذا كان الاسترسال والاطالة لازمين كانت القافية حجر عثرة لابد من ازالتها. فالشعر القصصي والرواية الشعرية لابد فيهما من ترك القافية أو الاحتيال عليها لانه من الطبيعي في الشعر القصصي أن يصور الشاعر صورا كثيرة واضحة قد يحتاج في تصويرها إلى نظم آلاف الابيات، وكذلك يحتاج الشعر القصصي الى أن يكون النظم حرا لا يلتزم فيه قافية تضطر الشاعر إلى ما يجعل المعنى مبهما أو مقتضبا. وفي هذا وحده علة وجود الشعر المرسل في لغة مثل اللغة الانجليزية.

وإنما يورد للشعر المرسل عيبان أولهما أنه يحرم الاذن من موسيقى القافية، والثاني أنه يحطم الحدود بين الابيات فلا ترتاح الاذن الى ما اعتادته من الوقف في آخر كل بيت والترنح مع الوزن من بدء مقدور الى خاتمة منتظرة. وهذا قول لاشك في أن به حقا كثيرا، فمن أراد الموسيقى والغناء فلابد له من شعر موزون خفيف الروح اذا بدأت أول قطعة منه توقعت مايليها، وإذا سمعت جرس القافية في أول بيت توقعت تمام المتعة بجرس ما بعدها. غير أنا لا نقصد أن يكون شعر الاغاني مرسلا فانما للمرسل موضع غير الاغاني وهو كما ذكرنا ضرورة يلجأ اليها من أراد الاطالة في غرض من الاغراض

وقد قال أدباء ممن يؤثرون الابقاء على القافية في كل صنوف الشعر أن الشعر المرسل لا ضرورة اليه، فاذا شاء امرؤ أن يطيل وصفا أو يؤلف قصة فما من شيء يمنعه من أن يفك نفسه من قيدي الوزن والقافية جميعا ويجعل قوله نثرا صافيا. وليس في مقدرة أحد أن يقنع الناس برأيه في مسألة ادبية باكثر من أن يعرض عليهم ما يستطيعون بناء حكمهم عليه، فان الحكم في مسائل الادب مرجعه إلى الذوق وموقع الكلام من النفس. وليس من قصد أحد أن يتعصب لاسلوب خاص، فانه لا مأرب لاحد في ذلك إلا أن يكون لذلك الاسلوب في نظره ميزة على سواه. على أن مجال القول فسيح لمن شاء الانتصار للشعر المرسل، فانه فوق النثر في أنه موزون وللوزن حظ من الاثر الموسيقي الذي يمتاز به الشعر، كما أن الشعر المرسل يجعل الاديب ينحت قوله على نمط مقدر، فتخرج المعاني في ثوب مقدود على قدر ومقياس ينحيانه عن الفضول ويكسبان الاسلوب شيئا من الأناقة التي تنشأ عن أختيار الالفاظ الموافقة للوزن وتزويقها وتوثيق الاتصال بينها.

وبعد فالمثل أولى من تلك الحجج. ولهذا قد آثرنا أن نختار قطعة من تأليف ملك الشعر المرسل وهو شكسبير في روايته المشهورة (عطيل) وانا عارضوها على القراء مترجمة مرتين مرة منهما من قلم الشاعر الكبير (خليل مطران) في نثر سهل حلو أدى المعنى اداء دقيقا في أكثر المواضع ولكنه على كل حال لا يعاب عليه شيء في سلاسته ووضوحه. والترجمة الأخرى من قلم رجل آخر واتته المقدرة على أن يؤدي المعنى الانجليزي في شعر مرسل. ورأينا أن نقرن بين الترجمتين حتى يمكن للقارىء أن يحكم بينهما ويحدث لنفسه رأيا في أفضلهما والقطعة المختارة هي نبذة من الموقف الذي كان بين (ياجو)

و (عطيل) يحاول فيه (ياجو) أن يظهر نفسه فى مظهر الصديق الناصح ويدس فى حديثه سم سوء الظن يبعثه الى قلب (عطيل) ليجعله يحقد على زوجته الفاضلة راميا من وراء ذلك إلى غرض مادى شخصى ظن أنه لن يبلغه الا بالقذف فى امرأة عطيل وتصويرها فى صورة من تهوى رجلا آخر اسمه (كاسيو) كان ذلك الواشى (ياجو) يريد الايقاع به . وعطيل يحب امرأته حبا شديدا فكان على الواشى المخادع أن يحكم حيلته ومكره حتى يستطيع أن يثير الشك فى قلب ذلك الزوج المحب . فابتدأ متظاهرا بالتردد فى اتهام الزوجة وجعل يلمح الى أن الشرف أغلى متاع للمرء حتى اذا مارأى (عطيل) ينساق مع الغيرة جعل يتظاهر بذم غيرة الأزواج على نسائهم حتى دفع الزوج المسكين الى أن يفتح قلبه وعقله للاتهام . وهذا البدء هو الموضع الذى نقلناه .

* * *

قال مطران فى ترجمة تلك القطعة :

ياجو : حسن السمعة للرجل والمرأة ياسيدى العزيز أثمن جوهرة من حلى النفس . من يسرق كيس نقودى يسرق شيئا زريا . كان لى واصبح له وكان قبلنا لألوف آخرين . اما الذى يسرق حسن سمعتى فيختلس شيئا لايغنيه ويجعلنى فقيرا جهد الفقر .

. . . . . .

. . . . . .

عطيل : وايم السماء لاعرفن أفكارك

ياجو : لن تعرفها ولو كان قلبى فى يدك . فهل تصل اليها وذلك القلب فى حراستى .

. .

عطيل : آها !

ياجو : أى مولاى احذر الغيرة . تلك الخليقة الشوهاء ذات العيون الخضراء التى تسخر مما تتغذى به من لحوم الناس . الرجل الذى يثلم عرضه فيعرف مصابه ويكره جالبه عليه سعيد سعيد بجانب ذلك الذى يقضى الدقائق الجهنمية شغفا إلا أنه مستريب . عاشقا شد العشق ولكن تساوره الشكوك

. . . . . .

وقال المترجم الآخر فى تأدية القطعة نفسها :

ياجو : شرف الانسان أغلى ـ سيدى ـ .

من سواد القلب هذا يستوى
فيه من كانوا ذكورا أو إناثا .
ان من يسرق مالى انما
نال منى تافها غير خطير
انما المال متاع هين
فلقد كان معى ثم مضى
ليديه بعد حين مثلما
كان قبل الآن عبدا لألوف
انما سالب عرضى نال ما
ليس يغنيه وقد أفقرنى

عطيل : قسما لابد من كشف ضميرك

ياجو : لا . فلن تكشفه حتى ولو
كان ذاك القلب مابين يديك
لا . ولن أفصح مادام هنا
بين أضلاعى .

عطيل : ها !

ياجو : أيها السيد حاذر ـ لاتطع
هذه الغيرة ـ حاذر إنها
غولة ذات عيون خضرة
إنها تسخر من مقتولها
بعد أن تنهشه ـ كن حذرا
ان من يعرف فى زوجته
انها تخدعه ، لكنه
ليس يهواها فلن تزعجه
انما البؤس لمن فى شكه
يتلظى والهوى يكوى فؤاده

عطيل : يالشقاء

ياجو : الفقر مع القناعة غنى بلا جاه عريض . اما النعم التى لاتحصى فتكون فقرا عقيما عقم الشتاء البارد للذى يخشى أبدا أن يصبح معسرا . اللهم ياذا الراحم أعف من الغيرة نفوس امثالى

عطيل : لم لم كل هذا اتظن اننى سأعيش هذه العيشة مغيرا ظنونى كلما تغير هلال . كلا . متى نفذ الريب ثبتت النفس على حالة معه . تبدل منى بتيس قطيع يوم أدع نفسى بين أيدى الشبه التى تحدثها كل دسيسة . أنالاتستفز غيرتى بأن يقال لى إن مرأتى جميلة وانها لطيفة المحاضرة وانها تحب معاشرة الناس وانها طليقة النفس فى أحاديثها وتغنى وتلعب وتحسن الرقص كل هذه الأفعال تكون فاضلة متى كانت المرأة فاضلة . الخ

. . . . . .

. . . . . .

. . . . . .

. . . . . .

ولعلي أستطيع أن آتى لقراء الرسالة ببعض أمثلة أخرى من هذا النوع من أساليب القول . تاركا لهم أما الانتصار له

عطيل : واشقاءاه

ياجو : موسر من كان فى الفقر قنوعا
وأشد الفقر مال طائل
مع خوف الفقر . ربى نجنى
من لظى الغيرة واحفظ منه أهلى

عطيل : لم هذا القول ؟ هل تحسبنى
ذلك الغيران يمضى هائما
سابحا فى غير من شكه
مثلما يسبح فى ابراجه
قمر الليل ؟ فلا كنت اذن
إننى إن كنت أمضى هائما
مثلما تحسب لم أبلغ سوى
مبلغ التيس . ولكن عزمتى
عزمة لاشك فيها إن بدا
لى وجه الريب . إنى لاأرى
سببا للريب عند امرأتى
لو يقول الناس عنها انها
ذات حسن . تشتهى الأكل اللذيذ
أو تحب الناس . أو ثرثارة .
أو تغنى . بل إذا مازعموا
انها تلعب أو تحسن رقصا
ليس هذا الوصف عيبا . إنه
صفة محمودة عند العفاف .

وإما خذلانة . فاذا وجدوه صالحا كان بابا يستطيع ذوو المقدرة من شبان الأدباء أن يلجوا منه الى ميادين فسيحة .

لجنة التأليف والترجمة والنشر

حياة نابليون

للاستاذ : حسن جلال

مؤلف الثورة الفرنسية

يبحث بحثا مستفيضا فى حياة نابليون وحروبه وآثاره ويقع فى جزاين وثمنه ٢ قرشا عدا اجرة البريد

ويطلب من اللجنة بشارع الساحة رقم ٣٩ تليفون ٤٢٩٩٢

ومن المكاتب الشهيرة

المعرض العربى فى القدس

سيفتتح فى ١ تموز ٩٣٣

واجب وطنى أن تشتركوا فيه

لانه أساس نهضة اقتصادية وطنية

ويكفل أسباب الارتباط بينكم وبين البلاد العربية